

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي - ميلّة -

معهد: الآداب و اللغات



قسم: اللغة و الأدب العربي

المرجع:

التناص عند يوسف و غليسي

- ديوان جعفر الطيار أنموذجا -

مذكرة معدة لنيل شهادة ليسانس في اللغة و الأدب
العربي تخصص أدب عربي

إشراف الأستاذة(ة):
فاطمة بوقاسة

إعداد الطالب(ة):
نهاد فتوحي
فاطمة الزهراء بالي

السنة الجامعية : 2013/2012

..

Ù

Ù

.....

.....

Ù

Ù

Ù

Ù

د

Ù

د

.....

.....

د

د

Ù

د

Ù

Ù

°

Ù

Ù °

.....

Ù

Ù

د

.....

د

Ù

1-قراءة في مفهوم التناس

تعد اللغة من أرقى وسائل الاتصال وأنجعها في تحاور الفرد مع مجاله الاجتماعي وما البحث في الجذور اللغوية للمصطلحات إلا لبنة أساسية في فهم أبعادها وضبط دلالتها، وهذا ما يدفعنا إلى العودة إلى المعاجم اللغوية لفحص مادة هذا المصطلح. **فالتناس في اللغة:** من " نص، نصا الشيء: رفعه وأظهره، وفلان نص: أي أستقصى مسألته عن الشيء حتى أستخرج ما عنده، والنص مصدر، وأصله أقصى الشيء الدال على غايته أو الرفع والظهور، ونص كل شيء منتهاه " فالنص إذن الرفع والظهور والمنتهى" (1).

والتناس إزدحام القوم، مضايقة بعضهم بعضا في مكان ضيق، وتدافعهم في حلقة تجمعيه واحدة ونصص المتاع، جعل بعضه فوق بعض" (2)

وقد جاء في "لسان العرب" أن النص "رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما أظهر فقد نص، قال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي: أرفع له وأسند، ويقال: نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، ونصت الصبية جيدها: رفعته" (3) وبذلك يكون التناس في اللغة: "هو الرفع والإظهار والاستقصاء والمعاني الواضحة والمناقشة في الشيء، وأخيرا هو الإزدحام والتجمع" (4) إذن فالنظرة المعجمية المستوحاة من مادة "نصص" تسمح لنا بالقول أن لمفهوم التناس جذورا لغوية وإن لم يرد هذا المفهوم بجذوره الاصطلاحية.

-
- (1): أحمد رضا: معجم متن اللغة، منشورات مكتبة الحياة، بيروت 1960، ص 472
 - (2): ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مج 1، دار العودة - اسطنبول، 1989 ص 96.
 - (3): ابن منظور: لسان العرب، مج 7، ط 3، دار صادر، بيروت، ص 97.
 - (4): يحيى بن مخلوف: التناس مقارنة معرفية في ماهيته وأنواعه وأنماطه، حسان بن ثابت، (دت)، ص 13

التناص اصطلاحاً : يعتبر التناص من المفاهيم النقدية الأساسية ، والتي تنتمي إلى مرحلة ما بعد البنيوية وبالتحديد إلى النقد التفكيكي ، الذي أعاد النظر في كثير من مسلمات لحدیثة ، سيما المتعلقة منها بالتفكير البنيوي ، وصار ذلك مفهوماً مشهوراً نظرية الأدب ، كل يحاول إمتلاكه وضمه إلى مجال تخصصه فإشتغل به البويطقي والسيميوطيقي والأسلوبي والتداولي والتفكيكي مابين هذه الاختصاصات من اختلافات وتناقضات ، اختلفت تصورات الدارسين حول تعريف هذا المفهوم النقدي وفهمه وضبط فعاليته النقدية ، "إذ أدرجه بعضهم ضمن الشعرية التكوينية ، فيما تناوله بعضهم الآخر في إطار جمالية التلقي ، وأعتبره آخرون من مكونات لسانيات الخطاب التي تتحكم في نصية النص." (1) ، ورغم اختلاف هذه المقاربات ، يظهر المصطلح في الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة ، محافظاً على معالم المدلول الغوي نفسه-تقريباً-لكن هذه المرة يركز على تراكم النصوص وإزدحامها في مكان هندسي يشغل فضاء من بياض الورق ، حيث تتفاعل النصوص ببعضها بعض وتتعلق لتخلق من النص الأول نصاً ثانياً يتشظى في نص آخر لتشكّل مجريات "التناص" من خلال تفكيك الصورة الكلية إلى وحدات جزئية وإعادة هيكلة الصور الجزئية لتشكيل الصورة الكلية .

ولقد استخدم النقاد المعاصرون-التناص- كأداة إجرائية لنقد النصوص ، واقتحام عوالمها الثقافية الجمالية ، إذ أصبحت الإنتاجية الشعرية المعاصرة تمثل في أغلبها "عملية استعادة لمجموعات من النصوص القديمة ، في شكل خفي أحياناً أخرى ، بل انقطاعاً كبيراً من هذا الإنتاج الشعري يعد تصورات لما سبقه ، ذلك أن المبدع أساساً لم يتم له النضج الحقيقي إلا باستيعاب الجهد السابق عليه في مجالات الإبداع المختلفة" (2)

(1) : عبد القادر بقشي : التناص في الخطاب النقدي والبلاغي ، دراسة نظرية وتطبيقية ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، (دت) ص 18 .

(2) : جمال مباركي ، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر ، دار هومة للنشر الجزائر (دت) ص 118/119

2/التناص في الدرس اللساني الغربي

1-ميخائيل باختين: أول من بلور مصطلح التناص كمفهوم يعني علاقة بين النصوص تحدث بكيفيات مختلفة "ميخائيل باختين"، ثم جاءت أسماء أخرى بعده.

(كلوتمان ، ريفاتير، جوليا كريستيفا..... إلخ)، كلهم اتفقوا على أن النصوص الأدبية تقيم حوارا بينها ، وأن المدونة الأدبية ليست سكونية ، بل هي دوما حاملة لحركة خطابية بين خطاب الأخر والأنا ، والقارئ هو الذي يلاحظ لعبة العلاقة بين النصوص انطلاقا من ثقافته الخاصة ، فلا يوجد معنى ثابت ، لأن الدلالة ، تتكون من حركية جماعية يأخذ فيها الإبداع شكل العمل الجماعي ، تلك العلاقة التي يقيمها الأدب بين ذاته والأخر بين العبقورية المتفردة للذات والعتاء التناصي البحث الأخر بعيدا عن الطابع النفسي ، ما يؤكد أن جذور التناص ترجع إلى مفهوم الحوارية لدى باختين وكان قد وضع هذا النوع في العقود الثلاثة الأولى من القرن الماضي والتي تكلم عنها أو مهد لها في عدة أعمال له منها "شعرية دستوفيسكي" وفي "فرانسوا رابلي" والثقافة الشعبية وفي جمالية ونظرية الرواية ، وفي "جمالية الإبداع الشفوي" (1) وتتجلى الحوارية في النص الروائي في ثلاث مظاهر :

-التهجين: أي المزج بين لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد ، والحال أنهما تنتميان إلى حقيقتين مختلفتين أو وسطين متباينين ، ويستخدم هذا النمط عادة في مجال السخرية والهزاء الشعبيين .

-العلاقة الحوارية المتداخلة بين اللغات: وتتجسد على سبيل التمثيل في الحوارات الإيديولوجية والثقافية غير مباشرة.

-الحوارات الخالصة: ويقصد بها الحوار العادي بين الشخصيات الحكائية سواء في الرواية أو المسرح(2)

وعلى العموم فإنه يمكن التقرير بأن "باختين" كان له السبق في تأصيل فرضية التناص "فهو الذي أكد أن كل نص يقع عند ملتقى نصوص أخرى فهو يعيد النظر فيها ويكتفها ويراجع صياغتها ، أي أنه يحولها لتصبح دالة على أعم مما كانت تدل عليه"(3) فالكلمة إذن تقيم حوارا مع نصوص أخرى ، تلك هي الفكرة التي مارسها "باختين" تحت عنوان "الحوارية" قبل ظهور مصطلح التناص إلا أن مصطلح الحوارية ظل مرتبكا وغامضا إلى غاية مجيء البنيوية وما بعدها لكي تتوسع هذه الفكرة تحت عنوان "التناص" وقد اهتم به في الجانب النثري من الأدب لأنه يرى أن الشعر ليتوافر عليه إلا أن الدراسات الجديدة والمتطورة أثبتت عكس ذلك .

(1) سامية محصول : التناص : إشكالية المصطلح والمفاهيم ، مجلة دراسات أدبية ع2 مركز البصيرة للبحوث والإستشارات والخدمات التعليمية . الجزائر 2008 ص66

(2) حميد لحميدان : القراءة وتوليد الدلالة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء 2003 ص22

(3) : رولان بارت : لذة النص ، (تر:فؤادالصفاء،حسين حسان) ، ط1، دار توبقال ، المغرب 1988، ص37 .

2 - جوليا كريستيفا: يعود الفضل في اشتقاق مصطلح التناص وترويجه رسمياً إلى "كريستيفا" وذلك من خلال مقالتيين ظهرتتا في مجلة "تيل كيل" وأعيد نشرهما فيما بعد في مؤلفها الصادر عام 1969 "سيميوتيك" ظهرت المقالة الأولى عام 1966 وحملت العنوان التالي: الكلمة، الحوار، الرواية، واحتوت على أول استخدام للمصطلح بينما حملت المقالة الثانية عنوان "النص المغلق" (1)

وقد اعتمدت "كريستيفا" في تحديدها لمصطلح التناص على المقدمة التي تصدرت كتاب "باختين" "شعرية دوستوفسكي" إذ كان يطلق على التناص اسم "الإيديولوجيم" وسمته "كريستيفا" "الصوت المتعدد" وعرفته بأنه "التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نص ص أخرى أو هو العلاقة بين خطاب الأنا وخطاب الآخر" بمعنى أن النص هو "عملية استرداد ونقل لتعابير سابقة أو متزامنة مع النص المكتوب فهو "اقتطاع وتحويل" وكل ذلك يشكل النص وينتمي إليه انتماءاً جمالياً وفكرياً". (2)

إعادة لنصوص أخرى داخل مكوناتها فهي تطرح فكرة النص التوالدي متخطية بذلك البنية لتضعها في إطار أعمق منها، وهذا يندرج في إشكالية الإنتاجية النصية التي تتبلور كعمل نصي، وبذلك يكون التناص هو التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ عن نصوص أخرى، وتشير "كريستيفا" إلى أنها أخذت تسمية (التناص) من ديسوسير، حيث قالت "وقد استطعنا من خلال مصطلح التصحيف، الذي إستعمله سوسير بناءً خاصة جوهرياً

(1) نيفين سامويل: التناص ذاكرة الأداب (تر: نجيب غزاوي)، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 2007. ص 8

(2) ترفيتان تودوروف وآخرون: في أصول الخطاب النقدي الجديد- مفهوم التناص في الخطاب النقدي- (تر: أحمد المدني) دار الشؤون الثقافية، بغداد 1987 ص 103

لاشتغال اللغة الشعرية ،عيناه باسم التصحيفيةوهي امتصاص معاني نصوص داخل الرسالة الشعرية"(1)

إن التناس الذي أطلقته "كريستيفا" صار بؤرة تتولد عنها المصطلحات هذه الأخيرة التي تعددت فيها السوابق واللواحق التي تدور كلها في فلك النص ،الذي حددته بمايلي:

- 1-إن النص يقدم أرضية لإسماع أصوات خطابات أخرى ،اجتماعية وتاريخية ودينية .
- 2-إنه جهاز خارق للغة يعيد توزيع نظامها ،بمعنى أنه هدم وإعادة بناء فهو يهدم لغة التواصل والأخبار ليبنى لغة مكثفة.

3-إنه ملتقى لمجموعة من النصوص المختلفة التي أطلقت على تقاطعها إسم الحوارية (الإيديولوجيم).

4-النص الأدبي ليس نظاما مغلقا ،كما زعم الشكلاونيون الروس،إنما هو كما يؤكد "فيليب سولر" مؤسس مجلة "تيل كيل" ((عدسة مقعرة لمعان ودلالات متغيرة متباينة معقدة في إطار أنظمة سياسية دينية سائدة)) (2).

رغم ما تتمتع به "كرستيفا" من فضل الريادة إلا أن هذا لا يمنع وقوعها في بعض العثرات ومن هنا لا يمكن اعتبار النص مجرد تشرب وتحويل لنصوص أخرى بل قد يكون أبعد من ذلك.

(1):جوليا كريستيفا :علم النص (تر:فريد الزاهي) ط1 دارتوبقال ،المغرب 1991 ص78 .
(2):أمنة بلعلی :نظرية النص عند جوليا كرسيفا ،مجلة اللغة والأداب ،ع8 معهد اللغة العربية وأدابها ،جامعة الجزائر 1996 ،ص72-73 .

3 رولان بارت : من أوائل البنيويين الأوروبيين الذين أهتموا بالتناسل نجد "رولان بارت" الذي أقر حقيقة هامة مؤداها أن النص لا يمكن أن ينفصل عن ماضيه ومستقبله اللذين يمنحانه الخصوبة وينتشلانه من العقم "أعتبره نصا بلا ظل" حتى وإن توفرت أسطورة "المرأة التي لا ظل لها كنص مؤسس إن "بارت" ينفي ذلك عن النص الأدبي، لأن هذا النص في حاجة دائما إلى ظله، وهذا الظل قليل من الإيديولوجيا. (1)

فالنص الإبداعي أيا كان نوعه هو ((نتاج مركب موجود سلفا، وهذا المركب هو الذي يصنع النص ويتولد منه)) (2).

نجد أن "بارت" كثف جهوده في البحث عن التناسل إلا أن كلمة التناسل لم ترد عنده إلا من خلال مؤلفه ((لذة النص)) إذ يقول: "هذا هو التناسل، إذن استحالة العيش خارج اللانهائي وسواء كان هذا النص بروست أو الصحيفة اليومية أو الشاشة التلفزيونية، فإن الكاتب يصنع المعنى والمعنى يصنع الحياة" (3) لقد ربط "بارت" بين التناسل والإقتباس في مقالته المنشورة في الموسوعة العالمية ذلك أن النص منسوج تماما من عدد من الاقتباسات ومن المراجع ومن الأصداء: لغات ثقافية سابقة أو معاصرة، تتجاوز النص من جانب إلى آخر في تجسيمه يقول: "إن كان نص جديد نسيج جديد لاقتباسات ماضية

ويرى "بارت" أن النص شبكة من العلاقات والتفاعلات تتراكم وتذوب فيها النصوص مع بعضها البعض متجاوزة بذلك كل الحدود والأجناس والقواعد والمراتب المتعارف عليها ويعتبر النص عملية إنتاجية يلتقي فيها الناص والقارئ فيشتركان في عملية التأليف، حيث ذهب في كتابه "نقد حقيقة" إلى ضرورة "موت المؤلف" هذه المقولة النقدية ذات الأهمية الكبيرة في النقد لألسني وهي لا تعني إلغاء المؤلف، وحذفه من دائرة الثقافة وإنما تهدف إلى تحرير النص من سلطة الظرف المتمثلة في الأب المهيمن - المؤلف - حيث يفتح النص على القارئ المتمرس الخلاق، الذي له ملكة التدنوق، ويجمع في بوتقة الذات كل الآثار التي تتكون الكتابة منها، وهو ما يدعوه "بارت" بالنص الكتابي (5)

(1) رولان بارت: لذة النص 37

(2) سعيد يقطين : الرواية والتراث السردي ط1 المركز القومي العربي ،بيروت 1992 ص31

(3) أحمد ناهم :التناسل في شعر الرواد ط1 ندار الأفاق العربية ،القاهرة 207 ص29

(4) نيفن صامويل : التناسل ذاكرة الأدب ص13

(5) محمد خير البقاعي :أفاق التناسلية ص30 .

هو النص الديناميكي الحي الذي يمثل الحضور الأدبي والقارئ لهذا النص ليس مستهلكا ، وإنما هو منتج له ، وقراءته هي إعادة كتابته ، لأن هذا النص ليس بنية من الدلالات ولكنه مجموعة من الإستشهادات ، المختلفة والنص الكتابي الذي يتحدث عنه "بارت" هو النص الفاعل ، يقابل النصوص القرائية التي تغطي على الأدب ، وهي النصوص التي توصف بأنها نتاج لا إنتاج ، لذلك فإننتاج المعنى بالنسبة للقارئ لا يتم إلا حين يصل القارئ النص المقروء بالنصوص الأخرى السابقة وإدراك العلاقات التناسية بينها ، فإذا كان قراء إمبراطورية اللغة تمكنوا من تجاهل المؤلف وربط النص بأنساق خارجة عنه وهكذا نستطيع القول أن "بارت" لم يضيف جديدا على ما قالته البلغارية "كريستيفا" عن التناس وما قاله "باختين" في الحوارية ولكن "بارت" وسع مفهوم انفتاح النص على الحياة والمجتمع.

4- جيرار جينت : لقد أولى الناقد "جيرار جينت" اهتماما بالغا بما أسماه "المتعاليات النصية" في مؤلفه "معمار النص" وهذا التعالي النصي يتضمن التداخل النصي بكل مستوياته فقد يكون في الجانب اللغوي من نصوص غائبة موظفة ، بشكل نسبي أو كامل أو عبارة عن استشهاد بالنص الغائب في النص الحاضر ، كما يتضمن المحاكاة والمعارضة فالتعالي النصي عنده ((كل ما يجعل نص يتعلق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني)). (1)

يتحول التناس عند "جيرار جينت" إلى نمط من أنماط التعالي النصي ، وقد حدد خمسة أنواع من المتعاليات النصية هي :

***التناس** : وهو حضور نصي في نص آخر كالأستشهاد والسرقعة ، وغيرهما .
***المناس** : ويوجد في العناوين والعناوين الفرعية والمقدمات وكلمات الناشر والخواتيم والصور .

***الميتانص** : وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بأخر ، يتحدث عنه دون أن يذكره .
***النص اللاحق** : ويكمن في علاقة المحاكاة أو التحويل التي تجمع النص اللاحق بالنص السابق .

***معمارية النص** : وهي علاقة صماء أكثر تجريدا وتضمينا وتؤخذ مناصيا . (2)

(1) : محمد عزام : النص الغاب ، (تجليات النص في الشعر العربي) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 ، ص 35

(2) : محمد عزام : شعرية الخطاب السردي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 ، ص 114

ومن الباحثين من يثبت هذه الأنماط الخمسة وفق التسميات الآتية:

- 1- التناص *l' imtrexualité*
- 2- المصاحبة النصية-*para textualité*
- 3- النصية الواصفة -*la méta textualité*
- 4- الملامسة النصية-*l'lypertextualité*
- 5 - النصية الجامعة –*l'architextualité*(1)

كما نجد أن الباحث "أحمد ناهم" يثبت هذه الأنماط وفق تسميات عدة:

- 1- البينصوية أو التناقض
- 2- النصوص المرادفة
- 3- ما وراء النصوصية
- 4- النصوصية الشمولية
- 5- النصوصية الشاملة

أما الباحث المغربي " سعيد يقطين " فيثبت هذه الأنماط وفق التسميات التالية :
التناقض ، المناص المينتناص ، النص اللاحق ، معمارية النص (2)

1-البينصوية أو التناص *l' intertextualité*

إن "جيرار جنيت" من خلال الأنماط السابقة،يحاول أن يرصد كل ما يتعلق الأمر فيه نص بنص آخر دون غلبة نمط على آخر في بينة النص،وذلك لانفتاحه وتعديه إلى نصوص أخرى ،فالنص في نظرتة لا يعتمد على ذاته في نسج فضائه الذي يحويه،وإنما يستعين في ذلك بعدد من اللينات التي يستمدها من عوالم فنية أخرى ،وهذا البناء معماريته.

وقد وقع العديد من الدارسين في مزلق الرصيد حينما أراد حينما أراد والفصل بين تلك التداخلات التي يمكن أن نراها في النصوص ،وقد تنبه "جنيت"نفسه إلى هذه.

المزلق ما جعله يطرح مفهوم "المابين النصية" ويعني بها تناص مع نص.آخر ((فالنص ليس ذات مستقلة أو مادة موحدة ،ولكنه سلسلة من العلاقة مع نصوص أخرى ونظامه اللغوي ،مع قواعده ومعجمه،جميعا تسحب إليها كما من الآثار والمقتطفات من

(1): حميد لحميداني : القواعة و توليد الدلالة ، ص 44

(2): أحمد ناهد : التناقض في شعر الرواد ، ص41

التاريخ، ولهذا فالنص يشبه في معطاه معطى جيش خلاص ثقافي بمجموعات لا تحصن من الأفكار والمعتقدات المستعارة شعوريا لاشعوريا ،يبرز فيه الموروث في حالة تهيج وكل نص متداخل يلتقي فيه الزمن بكل أبعاده))(1)

حيث يتأسس النص في رحم الماضي ،وينبثق في الحاضر ويؤهل نفسه للتداخل مع نصوص آتية في المستقبل

المختلفة ،باعتبار أن ذلك تجل من تجليات توليد النصوص الجديدة وإنتاج المعاني المبتكرة وما ينبثق عن ذلك من تعددية للقراءات وسيادة التأويل بدل الفهم .

5-ميشال ريفاتير: أشار "**ميشال ريفاتير**" إلى مفهوم التناص واستخدامه كمرتبة من مراتب التأويل وهذا الاستخدام مرتبط بأفكار عن الوقائع البلاغية الأسلوبية و المقروئية الأدبية على مستوى اقتراض تطابق متبادل مع الشكل والمضمون حسب "ريفاتير" هي ((نصوص أخرى للنصية مرتكزها التناص)).(2) وقد عرف "ريفاتير" التناص بأنه ((إدراك المتلقي للعلاقات بين عمل أدبي وأعمال أدبية أخرى سبقته أو تليته)) (3)

وهكذا أسهمت جميع الاتجاهات النقدية بداية من ((هايدجر)) وفلسفته التأويلية وحوارية "باختين" إلى التناص ثم جامع النص في بلورة فهم التداخل النصي في النصوص الأدبية المختلفة ، باعتبار أن ذلك تجل من تجليات توليد النصوص الجديدة و إنتاج المعاني المبتكرة و ما ينبثق عن ذلك من تعددية للقراءات و سيادة التأويل بدل الفهم .

(1): عبد الله القدامي :الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ط1 ، النادي الأدبي الثقافي ، السعودية ، 1985 ، ص 324.

(2): نورالدين السيد :الأسلوبية وتحليل الخطاب ،ج2، دار هومة للطبع ،الجزائر 1997 ص98

(3): عمر محمد الطالب:عزف على وتر النص الشعري -دراسة تحليل النصوص الأدبية الشعرية- منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق 1989 ،ص166

3-التناص في الدرس اللساني العربي القديم

من بين الحقائق التي لا جدال فيها أنه لا كلام يبدأ من الصمت، ولا شيء يكون وليد اللحظة مفاجئة، بل من التشكل لازمة الرواسب "فلولا أن الكلام يعاد لينفذ" (1) من هذا المنطلق نجد أن الدرس اللساني العربي القديم قد وعى هذه الظاهرة أتم الوعي واتسم هذا الوعي بدرجة عالية من الحذر والدقة، وهو ما يفسر تعدد المصطلحات من لدن النقاد في مضامين كثيرة من كتبهم فقد تنبه له النقاد القدامى من خلال البحث عن أوجه التشابه بين النصوص الشعرية للتدليل على مدى إبداع الشاعر وابتكار للمعاني الجديدة التي لم يسبقه إليها أحد ومن ثمة الحكم عليه بأنه مقلد يأخذ المعاني ممن سبقه، ويعيد صياغتها، فظلا عن مداد النقاد، فالشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، إذ لم يفت الشاعر الجاهلي التعبير عن هذا الأمر برأيين:

*يقر الأول بأخذ اللاحق من السابق، حيث كان اعتماد المقدمة الطللية منها متبعا في استهلال القصيدة الجاهلية، وهو ما عبر عنه "أمرئ القيس" بقوله

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي كما بكى ابن جذام(2)

بل إن الشعور بإعادة إنتاج ما سبق إنتاجه استشعره الشاعر أنثذ، يقول "زهير بن أبي سلمى":

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معادا من قولنا مكرورا(3)

ومقابل هذا الرأي الذي يقر بالتداخل وضرورة أخذ المتأخر من المتقدم، نجد الرأي الثاني الذي يميل إلى استقباح هذا الأمر، يقول طرفة

ولا أعير على الأشعار أسرقها عنها غنيت وشر الناس من سرقا(4)

(1): بدوي طبانة: السرقات الأدبية، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية و تقليدها، دار الثقافة فيروز،

1986، ص 42

(2): امرئ القيس، الديوان (تق: محمد أبو الفضل ابراهيم) دت دار المعرف ص 114

(3): زهير بن أبي سلمى: الديوان، دار صادر، بيروت (ت د) ص 66

(4): طرفة بن العبد: الديوان، دار صادر، بيروت، 1961، ص 70

يستخدم الرأي الأول مصطلحات التكرار والإعادة، بينما وظف الثاني مصطلحات الإغارة والسرقعة من هنا يتضح لنا أن الجاهليين انقسموا إلى اتجاهين فريق أمن بتداخل النصوص وأخر اعتبر ذلك سطوا على إنتاج الغير، ولا نكاد نعثر على كتاب في البلاغة العربية أة النقد الأدبي يخلو من البحث في هذا الموضوع أو الإشارة إليه، ذلك اننا نجد كل فرد من الدارسين قد تبنى مصطلحا معينا يختلف فيه عن غيره ويمكن أن نرصد هذه المصطلحات على النحو التالي :

أ-السراقات الأدبية: لقد إستترفت هذه القضية طاقات فكر وحبر العرب القدامى وغلبت على مصنفاتهم، فأفردوا لها كتبا بأكملها، تفاوت الطرح فيها من مصنف لآخر، وتحدد الدلالة المعجمية للفظة السرقعة في كونها ((أخذ الإنسان ما ليس له فأخذ من ظاهر فهو مختلس،

ومستلب ومنتهب وإن منع مما في يديه فهو غاصب)) (1) والسرقعة أن بعمد شاعر لاحق فيأخذ من شعر الشاعر السابق بيتا شعريا، أو شطر بيت أو صورة فنية أو حتى معنى ما.

كما أرتبط هذا المصطلح -السرقعة الشعرية-في التراث العربي النقدي والبلاغي بدلالات أخلاقية تهجينية فتواضع النقاد العرب على الفتح في نسبة الشعر لغير قائله، كما استهجنوا السرقعة ووصفوها بأسوأ النعوت فهي:سرقعة، إنتهاب، وإغارة، وغضب، ومسح، ومسح ونحل وانتحال.

إن المتأمل للنقد الأدبي عند العرب يجد النقاد الأوائل قد تنبهوا إلى ظاهرة السراقات الشعرية فتناولوها في مؤلفاتهم بالدراسة والتحليل، فهاهو " البحتري " يسطوا على معاني أستاذه وقد أسفر عن هذه الظاهرة عشرات الكتب المستقلة باسم السراقات الأدبية والشعرية أو الموازونات من ذلك الكتاب "سراقات البحتري عن إبي تمام "لإبن معتز" والكشف عن مساوئ المتنبي"للصاحب بن عباد""الموازنة بين الطائيين "للأمدي في حين آثر " بن قتيبة" استخدام مصطلح "الأخذ" بدلا من السرقعة في مؤلفه "الشعر والشعراء"الذي أكد فيه أخذ المتقدمي فيما بينهم

كما يحيلنا "الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني إلى مصطلح آخر هو "السلخ" والذي عده من أقبح وجوه السرقعة ونستدل على ذلك بسلخ "البحتري"من معاني قصيدة "علي بن جلية" التي يرثي فيها "حميد الطوسي" ومطلعها :

أنظر إلى العلياء كيف تضام(2)

(1):إبن منظور :لسان العرب ،مج10، ص155

(2):البحتري :الديوان(تق:حنا الفاخوري)مج2، دار صادر ،بيروت،(دت)،ص364

والثانية مطلعها :

بأي أسى تنثني الدموع الهوامل

وفي هذا السياق نجد "الأمدي" يتحدث عن شكل من أشكال السرقة ، وهو سرقات المعاني التي يرى أنها ليست من أكبر مساوئ الشعراء خاصة المتأخرين فيقول : وهذا باب ما برئ منه متقدم ولا متأخر(1)

ويقر الأمدي أثر البيئة في تلاقي معاني الشعراء وتقاربها في قوله: " غير منكر لشاعرين متناسين من أهل بلدين متقاربين أن يتلاقى في كثير من المعاني"(2)

وفي حديثنا عن النقاد الذين عنوا بهذه القضية نورد رأي "عبد العزيز الجرجاني" الذي يرى أن ((السرق- أيدك الله-داء قديم وعيب عتيق وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستند من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه)) (3) ف"عبد العزيز الجرجاني" من

أكثر النقاد العرب اعتدالا في النظر إلى مسألة السرقات وقد سار على نهجه "عبد القاهر الجرجاني" فيما يتعلق بباب اتفاق المبدعين في الأغراض والمعاني ،وقد حصل في حديثه

-
- (1): أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني(تق:عبد السلام أحمد فراح)،دار الثقافة ،بيروت ،1960، ص310
 - (2): الأمدي:الموازنة بين الطائيين : (تق:السيد أحمد صقر)،دار المعارف، مصر، ط2 1972، ص376
 - (3): عبدالعزیز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، (تق:محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي) المكتبة العصرية،(دت)، ص214

1. آليات الدراسة التناصية

1- أشكال التناص :

أ- التناص الضروري و الاختياري:

إن كل المهتمين باللغة، بمختلف أجناسهم و عصورهم يتفقون على أن هناك نوعين أساسيين من التناص:

- المحاكاة الساخرة (النقيضة) التي يحاول كثير الباحثين التناص فيها.
 - المحاكاة المقتدية (المعارضة) التي يمكن ان نجد في بعض الثقافات من يجعلها الركيزة الأساسية للتناص، على أننا نحن ننظر إلى الأمر في النسبية الثقافية، و نعني بهذا أنه إذا كانت ثقافة ما محافظة تنظر إلى أسلافها بمنظار التقديس و الاحترام، و إذا لم تتعرض لهزات تاريخية عنيفة تقطع بين توصلها فإنها تكون مجتررة محافظة، و إذا كانت ثقافة متغيرة انتابتها تحولات تاريخية و اجتماعية عميقة، فإنها غالباً ما تعيد النظر في تراثها بمناهج نقدية، و ما قلناه في الثقافة – بصفة عامة – نقوله على مستوى الأدباء و الشعراء فمنهم المتبع المقتدي المسالم، و منهم المعتدي الثائر ... على أن هذه الثنائية الضيقة يجب أن لا تحجب عن أعيننا الظواهر الأدبية المعقدة، فقد تكون هناك مواقف وسطى متعددة بين محاكنتين. (1)
- و مهما يكن، فإن هذا التقسيم الثنائي ليس إلا مجرد نمذجة نظرية يعتمد رد النصوص إلى احدها على حصافة القارئ و معرفته و حدة انتباهه، كما أن الدارسين – ما عدا بعض الاتجاهات المثالية- يتفقون على أن التناص شيء لا مناص منه لأنه لا افتكاك للإنسان من شروطه الزمانية و المكانية و محتوياتها، و من تاريخه الشخصي أي من ذاكرته. فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، هذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضاً، برهنة على صحة هذه المسلمة، فقد جدد دراسات لسانية نفسانية في السنوات الأخيرة

(1): محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص 122 ، 123 .

لصياغة عدة نظريات تحاول ضبط الآليات التي تتحكم في عملية الإنتاج و الفهم (1)، و يكفي أن نذكر منها:

- **نظرية الإطار (Frame theory):** لـ "منسكي" و يقترح فيها أن معرفتنا مختزنة في الذاكرة على شكل بنيات معطاة ممثلة لأوضاع متكررة نستقي منها عند الاحتياج إليها لتتلاءم مع الأوضاع الجديدة التي تواجهها، و عملية الملائمة تتم بواسطة مقول جديد متعمد على إطار و مستقى منه، و الإطار تمثيل للمعرفة ثابت حول العالم. و بما أن أنواع المقول متعددة فإن البداية و ما تثيره من انتظار ناتج عن التجارب السابقة تعطي لكل نوع مجاله الخاص به، فلغرض الغزل مثلا إطاره و هو وصف الحبيبية (2).

- **نظرية المدونات (Scripts):** لقد وضعت هذه النظرية للكشف عن العلاقة بين المواقف و السلوك ، ثم طبقت على فهم النصوص ، و يمكن أن نتخذ أداة لتبيين آليات إنتاجها أيضا و خلاصتها أن بين المفاهيم علاقة تبعية و ترابط و لذلك تضاف بعض المفاهيم لتوضيح الخطاب و رفع إبهامه بناء على مبدأ الانتظار ، فمثلا إذا قلنا : سافرنا إلى الخارج ، فالسفر يقتضي الحصول على جواز بتأشيرة أو بدونها و عملة صعبة، و كل ضرورات السفر، فقولنا السابق اعتمد على تجارب المتلقي ، و لكن كان يمكن أن ينص على كل ما لم يذكر. فالتداعي يقوم بدور كبير في عملية الخطاب و إنتاجه . فقد يكمل ما لم يصرح به إليه ، و قد يكفيه المرسل مؤونة أعمال الذهن ، و كل منهما محكوم ، في تأويله و إنتاجه ، بمعرفته السابقة (3).

- **نظرية الحوار (Scenarios) :** و هي نظرية يقدر بها انسجام الكلام و ترابطه، فذكر ذهابك الى المقهى أو كتابتك عليه يحتم عليك أن تتعرض للنادل و الكراسي ، و نوع المشروب الذي استهلكت و إذا لم تذكر كل العناصر فإن المتلقي يتماهى ليجعل خطابا ما ذا بنية ثقافية تمتلك مجموعة عناصر ثابتة أيضا، فالقصيدة "الدهرية"

(1): محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، (إستراتيجية التناص) ، ص 123.

(2): المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3): المرجع نفسه ، ص 124.

مثلا نتحدث عنه في المقدمة ثم نستعرض أفعاله ثم نختم بتوقع و توقع (1)

إن هذه النظريات جميعها تشترك في أنها تغير أقصى الاهتمام للخلفية المعرفية في عمليتي انتاج الخطاب أو تلقيه ، و معنى هذا أن الذاكرة تقوم بدور كبير في عمليتين معا ، و لكنها لا تستدعي الأحداث و التجارب السابقة كلها في تراكم و تتابع ، و إنما تعيد بناءها و تنظيمها و إبراز بعض العناصر منها و إخفاء أخرى تبعا لمقصودية المنتج و الملتقى (2)

ب - التناص في الشكل و المضمون :

إن النص هو شبكة من العلاقات المتفاعلة على مستوى الشكل و على مستوى المضمون (المعنى و الدلالة) ، على اعتبار أن هذين المستويين هما الأساس في تشكيل بنية تناصية جديدة فالمبدع لا يكتفي باستخراج الرموز و الإشارات شكليا فقط ، بل يتعداها إلى الامتصاص و التحرير و إعطائها بعدا جديدا يكون الأساس في بناء النص متعال و من هنا يتم التناص على:

1- مستوى الشكل : إن الشكل هو المستوى الخارجي للغة ، و المقصود به مجموع العناصر التي تؤمن من إنتاج النسيج اللغوي للقصيدة ، و هذه العناصر منها ما هو تكراري (الأفعال ، القوانين اللغوية و النحوية و الشكل القصيدة و تركيب الجمل و الضمائر) و يلعب الشكل دورا أساسيا في إنتاج النص (3)، إذ يرى " محمد مفتاح " بأن " الشكل هو المتحكم في التناص و الموجه إليه " (4)

(1): محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص 124

(2): نفسه ، الصفحة نفسها

(3): موى لعور : البنيات التناصية في شعر علي أحمد سعيد - ادونيس دراسة سميانية - مطبعة مزوار ، ط1 ، ص61

(4): محمد مفتاح : تحليل الخطاب (استراتيجية التناص) ، ص 130

فشكل الشعر غير شكل القصة و غير شكل الرواية ، كما أن الشعر العمودي يختلف عن الشعر الحر ، و لعل هذا الأخير لم يخرج تماما عن الشكل القديم للشعر بل امتص مجموعة الوسائل الشكلية المكونة للشعر العمودي و أبدع من خلالها نسيجاً لغوياً جديداً يدخل في علاقة تناصية مع الشعر العمودي ، كما نجد أن الصيغة التناصية تبحث في تعدد المعنى ، و تعدد المركبات اللفظية التي تنقلب على امتداد نسيج النص الأدبي و بالتالي التلاعب بأصوات الكلمة من خلال تقليب الأصوات (1)، و هذا التلاعب يكون عن طريق الأنا كرام (الجنس بالقلب و التصحيف) ، و قد يكون هذا التقلب عن طريق الباراكرا م (الكلمة – المحور) (2) ، كقولنا : حجر ، جرح ، جرح ، فهذه الألفاظ الثلاثة متداخلة و متشابهة من حيث الحروف و بالتالي تدخل في تناص بينما من تطابق في الحروف ، و تباين في المعنى فكلمة "حجر" تناص مع "جرح" و "جرح" ، و لكن دلالة كل منها تختلف عن الأخرى

2- مستوى المضمون : إلى جانب مسألة التناص الشكلي يمكن إضافة "التناص

الضماني " القائم على لعبة المواضيع الثقافية التي تشكل نقاطاً معرفية مهمة في مجتمع معين ، و في فترة تاريخية أي أن التناص الضمني يتم على مستوى بنية النص ، فالمضمون هو محور العمل الأدبي القائم على الصور الفنية الناتجة عن التخيل ، من خلال المجاز القائم على مبدأ الانزياح اللغوي كالتشبيه و الاستعارة ، إضافة إلى الصور الفكرية المتعلقة بالثقافة ، و الميثولوجيا و التاريخ و الدين

و ترى المدرسة الشكلية أن : الشكل الداخلي يعني الصورة الفنية الصغرى التي تعتمد تكوينات المجاز و الاستعارة و التشبيه و الكناية كما عين الصورة الكبرى التي تمثل في صورة الشخصيات و نماط الطباع و ما بينهما من صلات تبادلية و تقوم هذه الصور الفنية بدور النظام التحتي الذي تنتشر منه الدلالة و يمكن بواسطتها إبداع النسيج اللغوي

(1): محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ص 62

(2): نفسه ، ص 125

الذي يشكل الجانب الشكلي (1).

ج- التناص الداخلي و الخارجي:

1- التناص الداخلي: و هو الذي يكشف لنا علاقة نصوص الشاعر و المخزون الثقافي الذي ينتمي إليه، و يشكل هويته انطلاقا من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و التاريخ الإسلامي و الثقافة الشعبية ، وصولا إلى نصوص الشعراء المعاصرين له، و بخاصة إذا كان هؤلاء >> قد انطلقوا في إنتاج نصوصهم المتناصّة مع نصوصه، من خلفية نصية مشتركة <<(2)، و مثال ذلك شعراء الثورة الجزائرية أمثال: مفدي زكريا، محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون، و كذلك شعراء السجون و المعتقلات الجزائرية الذين كانوا في سجون واحدة، يحملون بنيو موحدة المنهل و المصدر، لدرجة أنهم يتفقون حتى في الأوزان، فدراسة هذا النوع من التناص يميّط اللثام عن الملامح الأصلية لثقافة الشاعر، و تبين دور نصوصه في إضاءة الواقع الاجتماعي و الثقافي، و مدى تعدد الخطاب الأدبي و تلونه، أو أحاديثه، و تكراره لدى جميع الشعراء و أسباب ذلك.

2- التناص الخارجي (المفتوح): هو تداخل النصوص التي يمتلئ بها العالم، و لا يرتبط بدراسة علاقة النص بنصوص عصر معين، أو جنس معين من النصوص بل هو تداخل حر يتحرك فيه النص بين النصوص بحرية تامة محاولا أن يجد لنفسه مكانا في هذا العالم(3)، فيفتتح على عالم الأساطير ، (كلمحة فلقامش) التي تشكل بدورها أرضية خصبة للإبداع الغربي المعاصر، و مثال ذلك الحضور الأسطوري عند شعراء السبعينيات و الثمانينات (عبد العال رزاق، عبد الله حمادي، سليمان جوادي...) و تناصهم مع الشعر الغربي قديمه و جديده. و لا يمكن التعرف على أنواع التناص عند الشاعر و تحديدها بدقة إلا إذا أدركنا الإستراتيجية التي يتكئ عليها في بناء نصه و كيفية توظيفه للنصوص الأخرى سلبا و إيجابا ، اختلافا و انتلافا.

(1): موسى لعور، البنيات التناصية ، في شعر علي أحمد يعيد – أدونيس دراسة سينمائية - ، ص 63.

(2): حسن محمد حماد ، تداخل النصوص في الرواية العربية ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر ، دط ، 1998 ، ص 45 ، 46.

(3): المرجع نفسه ، ص 46.

2-آليات التناص :

يطالعنا "محمد مفتاح" بقراءة متميزة لمفهوم التناص و الحوارية فقد انطلق من مسلمة تفيد أن مسألة الحوار لا تسلم منه "اليد الأولى" و لا "نص الدرجة الأولى" و لا "الدرجة الثانية" فلا اختراع كلي و لا ابتداء كلي (1) و بناء على ذلك، فإن >>الشاعر ليس إلا معيدا لا نتاج سابق في حدود الحرية سواء أكان ذلك الإنتاج لنفسه أو لغيره و إذا أثبت هذا، فما هي آليات الفنية التي تتحكم في كل عملية حوارية، و ما هي آليات التناص التي تسمح للشاعر أن يتفاعل بشكل إيجابي مع نموذج الفني السابق عليه؟ للإجابة على هذين السؤالين اتخذ "محمد مفتاح" من التداعي بقسميه التراكمي و التقابلي آلية من آليات التناص التي تتحكم في كل التناصية (2)، و قد فصله إلى:

أ- **التخطيط:** الذي يحصل بأشكاله مختلفة ، أهمها:

1-الأنا غرام : (الجناس بالقلب و التصفيح) ، **البراغرام** (الكلمة - المحور) ، فالقلب مثل :

قول – لوق، و عسل – لسع ، و التصحيف مثل : نخل-نحل، و عثرة-عتره، و الزهر- السهر...، و أما الكلمة المحور: فقد تكون أصواتها مشتقة طوال النص مكونة تراكمها يثير انتباه القارئ الحصيف ، و قد تكون غائبة تماما من النص و لكنه يبني عليه و قد تكون حاضرة فيه مثلما نجده في قصيدة ابن عبدون و هي الدهر ... على أن هذه الآلية ظنية و تخمينية تحتاج إلى انتباه من القارئ أو عمل منه لإنجازها بعكس ما يلي:

2-الشرح: غنه أساس كل خطاب، و خصوصا الشعر ، فالشاعر قد يلجأ إلى و سائل

متعددة تنتمي كلها إلى هذا المفهوم فقد يجعل البيت الأول محورا، ثم يبني عليه المقطوعة أو القصيدة و قد يستعير قولا معروفا يجعله

(1):محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص24.

(2): المرجع نفسه ، ص 25 ، 24.

في الأول أو في الوسط أو في لأخير ثم يمططه بتقليبه في صيغ مختلفة ، و هكذا فأن بيت:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح و الصور

و هو النواة المعنوية الأساسية ، و كل ما تلاه شرح و توضيح له.

3-الاستعارة : بأنواعها المختلفة من مشرحة و مجردة و مطلقة ، فهي تقوم بدور جوهري في كل خطاب و لا سيما الشعر بما تثبته في الجمادات من الحياة و تشخيص ، و هكذا فإننا نجد في بداية القصيدة تنقل المجرّد (الدهر) إلى المحسوس (الليث) فقد كان في إمكان الشاعر أن يقول : الدهر مؤذ ، و يكون قوله هذا موجزا موفيا بالمقصود و لكنه ابى إلا أن يقول " عن نومه بين ناب الليث و الظفر " و صنيعه هذا أدى إلى هذا يحتل التعبير الإستعاري حيزا مكانيا و زمنيا طويلا . (1)

4 - التكرار : يكون على مستوى الأصوات و الكلمات و الصيغ ، متجليا في التراكم او في التباين قد لاحظنا هذا التكرار بصفة خاصة في القسم الثاني متجليا في صيغة الماضي ، و في القسم الأخير واضحا في تراكيب متماثلة . (2)

5 - الشكل الدرامي : إن جوهر القصيدة الصراعي ولد توترات عديدة بين كل عناصر بنية القصيدة ظهرت في التقابل (بمعناه العام) وتكرار صيغ الأفعال و كل هذا أدى بطبيعة الحال إلى نمو القصيدة فضائيا و زمانيا . (3)

6 - إيقونة الكتابة : وهي التحصيل الحاصل للآليات السابقة لها ، أي إيقونة الكتابة هي علاقة المشابهة مع " واقع " العالم الخارجي ، و على هذا الأساس فان تحاور الكلمات المتشابهة أو تباعدها ، و ارتباط المقولات

(1):محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، ص 126.

(2): المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه ، ص 127.

النحوية ببعضها أو إشباع الفضاء الذي تحتله أو ضيقه هي أشياء لها دلالتها في الخطاب الشعري اعتبار المفهوم الأيقونة .

إن ما ذكر من آليات هي أساس هندسة النص الشعري مهما كانت طبيعة النواة ، و كيفما كانت مقصديه الشاعر فإذا قصد إلى الاقتداء فانه يمطط مادحا و إذا توخي السخرية قلب مدحه إلى ذم بالكيفية نفسها.(1)

ب - الإيجاز : إن قصر عملية التناص على التمطيط من الأمور الخاطئة لأنه قد تكون هناك عملية أخرى تدعى بالإيجاز ، و هي تعتمد على التركيز و الاختصار و تدعى " الإحالة المحضة " كما تحتاج إلى شرح و توضيح لكي يدركا المتلقي العادي و لذلك نجد شروحا لبعض هذه القصائد التي تحتوي هذه الإحالات إذا لا يذكر الشاعر فيها إلا الأوصاف المتناهية في الشهرة و الحسن ، أو الأوصاف المتناهية في الشهرة و القبح ، و لكن مقابلة بالإيجاز يصبح غير ذات موضوع و خصوصا إذا استحضرت مسلمة " الشعر تراكم " إذا وازنت ببعض الأراجيز التاريخية السابقة لها أو اللاحقة فانه لا يكاد يرى فرق كبير . (2)

و خلاصة القول إن هذه الآليات تبقى صعبة التحديد و تتسم باللانهائية و عدم الثبات و النص الأدبي في تنوعه هو الكفيل بإفراز هذه الآليات كما إن التأويل مسئول عن اكتشافها لان هذه الأخير أصل نشأته و صيرورته و جرائه يرجع إلى مقولتين :

أولهما : غرابة المعنى عن القيم السائدة ، القيم الثقافية و السياسية و الفكرية .

ثانيهما : بث قيم جديدة و تأويل جديد أي إرجاع الغرابة إلى الألفة و دس الغرابة في الألفة .

(1):محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص 127.

(2) المرجع نفسه ، ص 128 ، 129.

3 - مظاهر التناس :

أ - النص الغائب : لعل ابرز دليل على تمظهر التناس من خلال النصوص الغائبة هو ما أورده " صبري حافظ " في مقاله : التناس و إشارات العمل الأدبي " و مفاده انه اطلع على الكثير من كتب النقد القديمة و الحديثة التي تتناول فن الشعر بالتحليل و الدراسة ، و حينما وقع في يده كتاب " فن الشعر " لـ " أرسطو " انكب على قراءته ، فلم يجد فيه أفكار جديدة تستدعي انتباهه و السبب هو إن هذه الأفكار الواردة في الكتاب قد ذابت في كتابات النقاد الذين قرأ لهم سابقا ، فقال عن ذلك : <و قد أدهشني هذه الظاهرة وقتها ، و لم اعرف ساعتها أنني كنت أعيش احد أبعاد الظاهرة التناسية دون أن ادري . فقد كان كتاب " أرسطو " العظيم بمثابة " النص الغائب " بالنسبة للكثير من الأعمال النقدية التي قرأتها ، و تفاعلت معها و حاورتها و تأثرت بها .

و النص الذي ذاب في معظم ما قرأت من أعمال نقدية و أصبح من المستحيل استنفاذه منها او فصله عنها أو عزل خيوطه عن سدى أفكارها أول حمتها لان رآه و أحكامه قد صارت نوعا من البديهيات الأساسية التي تصدر عليها معظم الكتابات النقدية، وبالتالي فهي قاعدة غير مرئية ينهض عليها البناء النقدي لهذه الكتابات>>. (1)

فهذا الباحث انكشف له التناس النقدي من خلال اطلاعه على النص الغائب ، و نتيجة مجهوده القرائي استطاع و عي تسله المراوغ الى النصوص الحاضرة .

ب - السياق : إن المعرفة بالسياق شرط أساسي للقراءة الصحيحة التي يتمظهر من خلالها " التناس " للقارئ ، و لا تكون هذه القراءة كذلك ، إلا إذا كانت منطلقة منه ، لان النص عبارة عن توليد سياقي ينشأ من عملية الاقتباس الدائمة من المستودع اللغوي ، و هذا السياق قد يكون عالم الأساطير ، أو حضارة أو تاريخيا أو... وهو ما يمكن تسميته بالمرجععية التي تفرض وجودها داخل النص و التي تمثل "السياق الذهني " بالنسبة للقارئ،

(1): صبري حافظ ، التناس و إشارات العمل الأدبي ، ص 79.

أي المخزون النفسي لتاريخ سياقات الكلمة (1) فالنص المتداخل بحاجة إلى القارئ يمتلك هذا السياق الشمولي الواسع، ينطلق منه في دراساته التناسية للنصوص ، و من ثم تكون الذات القارئة قادرة على إنتاج الدالة المتوخاة من طرف الذات المبدعة و القابعة خلف " التناس " و هذا السياق الشمولي هو ما قصده " جيرار جنيت " عندما صرح قائلاً : فموضوع العربية ليس النص و إنما جامع النص (2) ، غير إن الجامع النص هذا على حد تعبير احد الباحثين المعاصرين غيرة جمالية تفوق غيرة كل بنات حواء ، فهو لا يسلم قياده إلا المخلص له الذي يدرك قيمته ، إن هذا النص شبيه بالفرس الأصيل الذي يتأبى على الجاهل بالفروسية ، يريد ان يمتطيها فتلقي به أرضا من على صهوتها . (3)

ج – المتلقي : يعتبر المتلقي عنصرا هاما من العناصر التي ينكشف بها التناس ، و ذلك بالتعويل على ذاكرته ، أو بناء على ما تتضمنه الرسالة من شواهد نصية مدمجة في النص الحاضر على شكل " تضمين " ، حيث يقطع الشاعر بيتا أو شطرا من بيت أو حكمة أو مثلا و يوظفه داخل خطابه أو على شكل " تلميح " أو " إشارة " أو إحالة على نصوص أخرى سابقة أو متزامنة ، و المتلقي المقصود هنا هو : الذي يمتلك ذائقة جمالية و مرجعية ثقافية واسعة تأهله للدخول في عالم التناس ، فتصبح قراءته للنصوص إعادة كتابة عن طريق الفهم التأويلي لها ، فهو العنصر الحاسم في الكشف عن التناس و في غياب المرجعية النصية تبدو له النصوص الحاضرة و كأنها إبداع مثالي أو وحي يوحى على صفوة من البشر و إذا التقى الشاعر المبدع و القارئ الكفاء في إنتاج الدلالة النصية فان هذا : يجعلنا نرى في النص كتابة و قراءة معا أو قراءة و تجربة في إن واحد . (4)

فالنص الأدبي في رأي " سعيد يقطين " : يتم إنتاجه ضمن بنية نصية كبرى ، تتعد فيها النصوص و تتقاطع و تتداخل و تتعارض ، و علاقة النص بهذه البنية النصية الكبرى هي علاقة صراعية ، أو لنقل جدلية تقوم على

(1): سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي (النص و السياق) ، ص 34.

(2): جيرار جنيت ، مدخل لجامع النص ، تر: عبد الرحمان أيوب ، دار توبقال ، ط2 ، 1986 ، ص 94.

(3): عبد الله الغدامي ، الخطبة و التكفير من النبوية إلى التشريحة ، ص 79.

(4): جمال مباركي ، التناس و جماليته في الشعر الجزائري المعاصر ، ص 151 ، 152.

أساس التفاعل الذي يأخذ طابع الهدم و البناء . (1) فلم يعد المتلقي تلك الذات السلبية التي أطلق عليها المرسل إليه سلفا أو مفعولا به وقع عليه فعل الكتابة فقط بل أصبح فاعلا ديناميا يؤثر في النص .

د - شهادة المبدع : يمكن للتناص أن يتمظهر بناء على شهادة الشاعر الذي يشير أو يصرح بمرجعية الفكرية و الإنشائية ، فيعلن الثقافات التيارات و النصوص التي يعب من معيها ، ذلك أن للمدعين قناعات فكرية معينة و رؤى متضاربة للكون و الإنسان و الحياة ، غير أن الباحث لا يجب أن يعول كثيرا على هذه الشهادة ، خاصة إذا تعلق الأمر برصد التداخل النصي الخفي الذي يكون المؤلف فيه غير واع بحضور النصوص الأخرى في نصه المكتوب ، و على غرار هذا فتحديد النصوص الغائبة في النص الحاضر لا يقوم به إلا القارئ يتجشم أعباء البحث عن الجمال يترفع عن المظاهر السطحية للتعبير ، جوهر الحقائق العميقة ، قارئ >ليس مجرد متلق ، و لكنه يمثل حصيلة ثقافية و اجتماعية و نفسية، تتلاقى مع كاتبها هو مثلها في مزاج تكوينه الحضاري الشمولي ، و النص هو المتلقي لهاتين الثقافتين <.(2). و من هنا يمكن للقارئ الحاذق التمييز بين مستويين للنص الغائب داخل النص الحاضر هما :

1- النص الظاهر : (Texte phono)

2- النص المولد : (Texte queo)

فالأول : هو التتمظهر اللغوي كما يتراءى في الملفوظ المادي و هو مجال اللغة التواصلية و يبدوا هذا على مستوى البنية السطحية للنص.

الثاني : يتعلق بمجال البنية العميقة للنص ، حيث تبدوا النصوص الغائبة في حالة تهيج و ذوبان قابعة داخل الصمت الوهمي للنص الحاضر ، و في هذه الحالة يكون التناص مؤشرا على الطريقة التي بواسطتها يقرأ المبدع

(1): سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي (النص و السياق) ، ص 34.

(2): عبد الله الغدامي ، الخطيئة و التكفير من النبوية إلى التشريحة ، ص 79.

النصوص السابقة و المعاصرة حيث يتداخل مع الرموز و الأساطير و التاريخ و شتى أنواع النصوص و من ثمة قد يلتحم بهذه النصوص و يتعلق بها في تهادن و قد يتصارع معها ليبيطل مفعولها (1).

(1): صالح مفقودة ، التناص في رواية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف ، جريدة الخبر ، ع 2201 ، (22 فيفري 1988) ص 21.

4- مستويات التناص :

التناص في إنتاج الفنون القولية طرائق يتم بها ، لان كتاب لا يتسلون في قراءتهم لما تجمع لهم من نصوص حيث يتفاوتون في استخدامهم الفني للنصوص الغائبة في إبداعهم تبعا للكفاءة الفنية في قراءة هذه النصوص و من ثم >> فان النص عندما يرتبط بالنصوص الأخرى من خلا ترابطه اللغوية ، يحقق لنفسه كتابة مغايرة حتما للنصوص الأخرى ، فيدمجها في أصله و يضغطها بين ثنايا الصوائت و الصوامت بطريقة قد لا تراها العين المجردة <<(1). لذلك فان قراءة النصوص الغائبة و إعادة كتابتها تخضع لعدة مستويات تبرز مدى قدرة أي شاعر في التعامل مع النصوص لان كتابة النص هي قراءة نوعية بوعي خاص يتحكم في نسق النص (2).

و سنقف عند علمين من إعلام النقد لمعاصر حددا مستويات التناص هما : "جوليا كرسيفا" في النقد الغربي و "محمد بنيس" في النقد العربي.

أ-مستويات التناص عند جوليا كرسيفا : يبدوا أن "جوليا كرسيفا" هي صاحبة التحديد المنهجي لمستويات التعامل مع النص الغائب التي تساعدنا على ضبط القراءة الصحيحة و من ثم تجنبنا إهمال العمليات المعقدة التي تكمن وراء نسيج النص ، و قد حصرتها "جوليا كرسيفا" في ثلاث أنماط هي :

1-النفي الكلي : في هذا المستوى يقوم المبدع بنفي النصوص التي يستنصصها نفيا كليا دلاليا ، و يكون فيه معنى النص قراءة نوعية خاصة تقوم على المحاورة لهذه النصوص المستترة ، و هنا لا بد من ذكاء القارئ الذي هو المبدع الحقيقي الذي يفك رموز الرسالة و يعيدها إلى منابعها الأصلية و توضح لنا "كرستيفا" ذلك بمثال من قول "باسكال" : >> و أنا أكتب خواطري تنفلت مني أحيانا ، إلا أن هذا يذكرني بضعفي الذي يلقتني درسا بالقدر... يلقتني إياه ضعفي المنسي ، ذلك أنني لا أتوق سوى إلى معرفة عدمي <<(3)، و هذا النص يحاوره "لوتريامون" و يلعب دلالاته بطريقة تنفي النص الأصلي الذي يبدو مستترا خفيا داخل خطابه يقول "لوتريامون":

(1) : محمد بنيس ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ص 252.

(2) :المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) :جوليا كرسيفا ، علقن النص ، ص78.

>> حين أكتب خواطري فإنها لا تنقلب مني ، هذا الفعل يذكرني بمقولتي التي أسهو عنها طوال الوقت ، فأنا أتعلم بمقدار ما يحيه لي فكري المقيد ، و لا أتوق إلا إلى معروفة تناقض روعي مع العدم>>. (1).

2- النمط المتوازي: هذا النمط يعتمد على توظيف النصوص الغائبة بطريقة قريبة من مصطلحي "التضمين" و "الاقتباس" المعروفين في الدراسات البلاغية العربية القديمة ، حيث يظل فيه المعني المنطقي للبنية النصية الموظفة هو نفسه للبنية النصية الغائبة إلى التشكيل الخارجي، و تضرب لذلك مثلا من مقطع نصي ""للأشفوكو" يقول فيه:>> إنه لدليل على الصداقة عدم الانتباه لتنامي صداقة أصدقائنا>>. (2)

3- النفي الجزئي : و فيه يأخذ الكاتب / الشاعر البنية جزئية من النص الأصلي يوظفها داخل خطابه ، مع نفسي بعض الأجزاء منه ، مثال ذلك قول "باسكال" :>> حين نضيع حياتنا فقط نتحدث عن ذلك>> هذا القول نجد مثيلا له تقريبا في قول "لوتريامون":>>نحن نضيع حياتنا ببهجة ، المهم أن لا نتحدث عن ذلك قط>>. (3)

ب-مستويات التناص عند محمد بنيس : أن "محمد بنيس" في النقد المعاصر فيحدد للتداخل النصي تبعا لنوعية قراءة الشعراء للنص الغائب، ثلاث مستويات تتخذ صيغة قوانين :>> و هذه القوانين تحديد لطبيعة الوعي المصاحب لكل قراءة للنص الغائب ، لأن تعدد قوانين القراءة هو في أصله انعكاس لمستويات الوعي التي تتحكم في قراءة كل شاعر لنص من النصوص الائبة (4). و يتراوح هذا الانسجام بين طرائق ثلاث هي: التناص الأجتزاري ، التناص الامتصاصي ، و التناص الأجتزاري ، التناص الامتصاصي ، و التناص الحواري.

(1) :جوليا كرسنيفا ، علق النص ، ص78.

(2) : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(4) : محمد بنيس ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ص 253.

1- **التناص الاجتراري:** و فيه يعيد الشاعر كتابة النص الغائب بشكل نمطي جامد لا حياة فيه ، وقد ساد هذا النوع التناصي في عصور الانحطاط ، حيث تعامل الشعراء في تلك الفترة مع النصوص الغائبة بوعي سكوني خال من التوهج و روح الإبداع ، و بذلك ساد تمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية، في انفصالها عن البنية العاملة للنص كحركة و صيرورة و كانت النتيجة أن أصبح الغائب نموذجاً جامداً ، تضمنل حيويته مع كل إعادة كتابة له (1).

2- **التناص الامتصاصي :** و هو خطوة متقدمة في التشكيل الفني ، إذا يعيد الشاعر كتابة النص وفق متطلبات تجربته و وعيه بحقيقة الغائب شكلاً و مضموناً ، و هذا يمثل : >> مرحلة أعلى قراءة النص الغائب ، و هو القانون الذي ينطلق أساساً من الإقرار بأهمية هذا النص و قداسته ، فيتعامل و إياه كحركة و تحول لا ينفيان الأصل (2)، و هذا النوع من التعامل مع النص الغائب (الامتصاصي) يسهم في الاستمرار النص كجوهر قابل للتجدد و معنى هذا أن التناص لا يجمد النص الغائب و لا ينقده ، و بذلك يستمر النص غائباً غير ممحو ، و يحيا بدل أن يموت.

و التناص الامتصاصي كما يرى "محمد بنيس" هو : >> قبول سابق للنص الغائب ، و تقديسي و إعادة كتابة لا تمس جوهره ... ينطلق فيه الشاعر عن قناعة راسخة ، و هي أن هذا النص الغائب غير قابل للنقد أي الحوار ... هو مهادنة للنص و الدفاع عنه و تحقيق صيرورته التاريخية>>(3) مما يجعل النص الغائب يستمر في الحياة و التفاعل مع النصوص الأخرى

3- **التناص الحوارية:** تعد طريقة الحوار أرقى مستويات التعامل مع النص المتعالي (الغائب) حيث يفجر فيه الشاعر مكبوتة و نواته ، و يعيد كتابته على النحو الجديد وفق كفاءة فنية عالية و هذا النوع من التعامل مع النصوص

(1): محمد بنيس ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ص 253.

(2): المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3): المرجع نفسه ، ص 277.

الغائبة لا يقوم إلا شاعر مقندر ، ذلك لأن التناص الحواري >> هو أعلى مرحلة من قراءة النص الغائب ، الذي يعتمد النقد المؤسس على أرضية عملية صلبة تحطم مظاهر الاستلاب ، مهما كان نوعه و شكله و حجمه ، لا مجال لتقديس كل النصوص مع الحوار ، فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل هذا النص و إنما بغيره ... و بذلك يكون الحوار قراءة نقدية عملية (1) فالتناص الحواري لا يقف عند حدود.

(1): محمد بنيس ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ص 253.

5- تقنيات التناس :

و نقصد بها كيفية تناس نص مع النصوص أخرى بوعي أو دون وعي عن طريق الإضافة أو الإشباع بعد تفجير النص الأصلي لإنتاج النص الجديد، و كيفية استخدام فنيات التناس للاستفادة من النصوص المتناسمة مع النص الجديد ليكون مستقلا عنه ، معتمدا على إلغاء الحدود بين النص و النصوص أو الواقع أو الشخصيات التي يضمها الشاعر نصه الجديد ، حيث تأتي هذه النصوص موظفة و مذابة في النص فتفتح آفاق أخرى دينية و أسطورية و أدبية و تاريخية مما يجعل النص متلقي لأكثر من زمن و أكثر من حدث و أكثر من دلالة ، فيصبح النص غنيا حافلا بالدلالات و يمكن رصد بعض هذه التقنيات فيما يلي :

أ-تناس التآلف : و هو اتفاق الموقفين ، موقف صاحب النص السابق ، و صاحب النص اللاحق ، و تكافؤ العنصر التراثي و العنصر الحداثي – تقريبا – كما يذهب إلى ذلك "علي عشري" في قوله : >> إن عملية استخدام الشخصية التراثية و التعبير بها أن يتم في إطارها الامتزاج التام و المتكافئ بين ما هو تراثي و ما هو معاصر ، فإذا ما طغى احد طرفي المعادلة على الآخر اختل البناء الفني <<(1) أو في محاولة التوفيق بين ما هو تراثي و ما هو حديث في النص الأدبي عند توظيف الشخصيات و المواقف التراثية ، و مثاله قصيدة " بكاء بين يدي زرقاء اليمامة "لـ" أمل دنقل" ، الذي استدعى شخصيات تراثية ليعبر عن نكبة العرب سنة 1997 لتشابه الموقفين و تشابه نبوءة شخصيات التاريخية بنبوءة الشاعر قبل وبعد النكسة.(2)

و تناس التآلف الذي تتفق فيه دلالات النص السابق مع دلالات النص اللاحق يراعي فيه – أيضا – الفروق الجمالية بين الخطاب الشعري و الخطاب التاريخي ، و كذلك درجة المحاكاة و انتخاب الحوادث ، و لذا كان النص الحديث المتناس عبارة عن إعادة صنع المعني.(3)

(1): علي عشري زايد ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر الجزائري المعاصر ، الشركة العامة للنشر و التوزيع، طرابلس ط1978، 1، ص 365.

(2): أحمد مجاد ، أشكال التناس الشعري (دراسة في توظيف الشخصيات الشعرية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 1998، ص359، 360.

(3): المرجع نفسه ، ص 390.

ب- **تناص التخالف** : و هو تجريد "التراثي" من دلالاته و إعطائه دلالات معاصرة ، كاستدعاء الشخصية التاريخية استدعاء مخالفًا للمرجعية التاريخية أو تحويل النموذج التاريخي "المثال" إلى نموذج للهزيمة ، و مثاله قصيدة "الحداد يليق بقطر الندى" لـ "أمل نقل" الذي اتخذ من قصة زواج الأميرة "قطر الندى" بنت "خماروية" من "المعتضد العباسي (250هـ . 283هـ)" نموذجًا للتناص حيث حول الشاعر حكاية الأميرة من أعلى نموذج للفرح إلى أعلى نموذج من الحزن.(1)

فتناص التخالف تكون مرجعية تاريخية أو تراثية و لكن بتحويل دلالات هذه المرجعية التاريخية إلى عكسها أو الأخذ بجزء منها فقط، و إهمال الباقي ، مما يؤدي إلى إنتاج نص جديد في أبعاده الموضوعية و الفنية، ولقد لجأ إليه الأدباء إما لوطنيتهم في العصر الحديث، و إما لقطع العلاقات و الأواصر بين التراث السابق و إبداعات الأجيال الحديثة ، لتأسيس "تناص حدائي" ، و لعل هذه التقنية يمكن العثور عليها لدى المبدعين المجددين و الثوار عبر الزمن التاريخي للأدب بصفة عامة.

ج- **تناص التداخل** : و هو اقتران نص لاحق لنص سابق دون المزج بينهما ، أو ما يسميه البعض التناص الشقي أو التحول أو الخروج من أسر العروض كما يقول المتصوفة و هو الإحاطة ببنية القصيدة بكسر إيقاعها الداخلي و مسيقاها ، تشتت الرؤيا يحث يأتي الشاعر ببيت شعري على وزن قصيدته لشاعر آخر ، ويكون البيت في منتصف القصيدة ، أو تحويل البحر مع الحفاظ على الروي و القافية و من هذا ما فعله "أحمد الشهاوي" الذي قطع سياق نصه الخاص و إيقاعه الشعري و شق قصيدة من منتصفها ، و وضع بقلبها من شعر "رابعة العدوية" و بذلك قام بعمل اقتران بين نصه و نص رابعة العدوية.(2) و هذه التقنية الفنية يلجأ

(1): ينظر : عبد الواحد لؤلؤة، من قضايا الشعر العربي المعاصر ، التناص مع الشعر العربي ، مجلة الوحدة ، ع83/82، يوليو ، ص22.

(2): ينظر : حسن محمد حماد ، تداخل النصوص في الرواية العربية، ص34

إليها الشاعر أو الوشاح لسكر روتين العروض ، و إضفاء لون من ألوان الدهشة و الحركة على نصه.

د- تناص الانحراف: و نقصد به الكتابة بالنص الخافية ، بنمط النص السابق أو ما يسميه "كمال أبوديب"

بـ "شعرية الفجوة" أي اصطدام سياقين أو بنيتين إحداها بالأخرى ضمن شبكة جديدة من العلاقات ، و نظام فني و فكري جديد مما يكسب النص الجديد قيمة ثقافية و شحنة شعرية جديدة ، و هذه التقنية مشهورة في الشعر العربي باسم "المعارضات" و كذلك "النقائض" و

ليست نوع من السرقات الأدبية لأنها عبارة عن إعادة قراءة للنص القديم بفكر حديث و

بدلالات جديدة ، أو هو حوار جدلي يترتب عنه وضع جديد للنصين القديم و الحديث معا (1)

هـ- التناص الجزئي : و هو قصدي يهدف الأديب من خلاله استدعاء شخصية نص

سابق أو عنوانه أو دلالاته، أو بناء النص السابق بعد تحويره أو تمثله لغته و أسلوبه(2) بحيث

لا يمكن للمتلقي أن يعثر على هذا التناص إلا بعد قراءة جديدة، و تأويل موسوعي للنص

اللاحق ، لأن النص الجديد ، نص بمعان بعيدة كل البعد عن النص السابق ، و مثاله ما نجده

عند " عبد الكريم عقون " " يا شعر " إذ يتكئ على استدعاء الفواصل القرآنية في سورة مريم

لتكون قافية لقصيدته الرومانتيكية استجابة لمخزونه القرآني و لأبنية الوعي التاريخي

الاجتماعي.

فهذه التقنيات مجتمعة تشكل خلفية الأديب و كيفية توظيفه لها سلبا و إيجابا و اختلافا و اتفاقا.

(1): صلاح فضل ، شفرات النص ، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر ، ط5، 1995، ص117، 119.

(2): ينظر: جوليا كرستيفا ، علم النص ، ص 78.

6- وظائف التناص :

إن الوظيفة الأساسية للتناص تتمثل في لجوء الكاتب إلى استحضار النصوص الأخرى السابقة عليه و المتزامنة معه و امتصاصها و إدماجها في نصوصه و إدماج هذا الموروث الثقافي و إعادة صياغته إنما هو إحياء و وعي به يكون هذا الإحياء بالترميز و الإشارة ، و يمكننا تحديد وظائف التناص كما يلي:

1- **الوظيفة الجمالية:** تعتبر عملية التناص من الوسائل الفنية التي يوظفها الشاعر ليعتد تراثه الحضاري من جديد و إغناء النص الأدبي بمختلف الإشارات المعرفية الموحية التي تحدث في نفس القارئ و عليه فإن جماليات الكتابة التي تسيطر عليها المعرفة الخلفية التي يستند إليها التناص و فيما يستخدمه من فنيات جمالية ترفع مستوى اللغة لتعطيها قيمة جديدة تخرجها عن المؤلف إلى شاعرية اللغة التي في صميم الأدب ، و تنحصر أهم الجوانب فيما يلي :

أ- **الإحالة:** و هي الإطار المرجعي الذي يؤلف مجموعة الخبرات و المعارف التي تعمل على تشكيل النص و فعل التلقي و هذا المرجع قد يكون إنسانا ، مجتمعا تاريخيا ثقافة و للنص امتداده العميق داخل السياقات الخارجية و هذا ما أكده الناقد الروسي "لوري لوتمان" إن الهدف من الشعر يتفق مع مطلب الثقافة ، لأن هذه الثقافة أساس الاتصال و التقدم و يستطيع القارئ أن يكشف على التناص من خلال إشارته إلى الجنس التعبيري الذي يشير إليه النص ، و القارئ حالة تلقيه النص الشعري يقوم بعملية رد الحالة المرجعية إلى الأشياء التي يشخصها النص ، فالإحالة إذا يحددها الكاتب أولا ثم القارئ ثانيا. (1)

ب- **الاختصار:** و هو من أهم وظائف التناص ، فالشاعر قد يلخص حين سرده الأحداث الماضية فهو قد يذكر أحداثا أو نماذجاً أو حضارات أو نصوصا... و هو في ذلك ينتقي و ينفى و يظهر و يضم و يذكر و يحذف ، فهو لا يقوم باجترارها كما هي (2).

(1): محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص 131.

(2): المرجع نفسه ، ص 132.

ج- استخلاص العبرة : و يقدر بها أن الأديب يحاول الاستفادة من تجارب سابقة، أي إخلاص استيعابه لنص من هذه النصوص و هي تأخذ عدة أشكال منها :

- مجرد موقف لاستخلاص العبرة.

- و هذا ما نجده في معارضات رواد النهضة الذين استقوا معانيهم من جواهر الأدب حيث استخلصوا العبرة من تجاربهم الحياتية.

- تصفية حساب و دعوة لاستخلاص العبرة.(1)

ح- إنتاج الدلالة الجديدة : يقوم التناسل بوظيفة إنتاج دلالات و إحياءات جديدة على أنه أساسي لعملية إبداعية لإنتاج نص جديد ، هذا الأخير الذي يقوم على أنقاض النص الغائب ، فالمبدع عندما يلجأ إلى الحوار مع النصوص الأخرى لا ليعيد كتابتها على نحو صامت و إنما يستحضر النصوص ليلقي عليها كثافة وجدانية جديدة تجعل النص الحاضر منفتحاً على نحو صامت و إنما يستحضر النصوص ليلقي عليها كثافة وجدانية جديدة تجعل النص الحاضر منفتحاً على امتداد زاخر بالإحياء، فيعيد للنص القديم حيويته و صيرورته من جديد ، و بالتالي تنتج الدلالة الجديدة للنص الحاضر.(2)

2- الوظيفة التعبيرية : يقوم التناسل باعتباره الأساس الإبداعي بوظيفة تعبيرية فيظل

النص مفتوحاً على بقية النصوص ، و هذا يجعل النص في اتصال مع عدة ملفوظات و

أصوات متداخلة من طريق الكلام في إطار اجتماعي، يستند عليه النص ، و هنا تظهر وظيفة

القاص الشاعر التي تكمن في استقطاب تلك المعارف و توظيفها ليعبر عن فكرته سواء كانت

بالسلب أو بالإيجاب ، و بهذا تتجلى لنا صورة النص القديم في قالب جديد يعيد بواسطتها

حيوية و سيرورته بطريقة جديدة.(3)

و من هنا يمكن لنا نستنتج أن الوظيفة التعبيرية للتناسل تتطلب من

القاص / الشاعر أن يوظف دلالات

(1): ينظر : محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناسل) ، ص 132.

(2): المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3): المرجع نفسه ، ص 132 ، 133.

النص الغائب ليعبر بها عما يجري في الواقع ، و هذه الوظيفة تعد من الوظائف الفعالة للتناص حيث يقوم الشاعر باستحضار كل ما تختزنه الذات و ذلك من أجل إثراء الموضوع و إعطائه دلالات و إحياءات و هذا ما يسمى: "بالمعنى الإيحائي" و يدخل هذا الإطار في الوظيفة الجمالية للنص و هذا ما أطلق عليه الباحث "ديبوجراند" اسم "إحياء النص" و يعرفه :<< بأنه الطريق الذي يستعمل بها و يحيل بها إلى نصوص معروفة>>. (1)

و نلخص إلى وظائف التناص بالشكل الجمالي الذي تلحقه اللغة عندما تعطي لها دلالات جديدة ، و في الإحالة على السياق الذي يعد المرجعية التناصية، كما يتلخص في اختصار النصوص إلى مدلولات معرفية تحيل القارئ على التراث ، بالإضافة إلى أن التناص دور رمزي يكمن في تنصيب التجارب الإنسانية و اعتباره عبراً في حياة الإنسان و له وظيفة على مستوى التعبيري و الانفعالي العاطفي ، فالكاتب يختار نصوصه المتداخلة وفق حالته النفسية التي يعيشها.

(1): حازم القرطاجي ، منهاج البلغاء ، و سراج الأدباء ، المكتبة العصرية ، بيروت، دط ، ص 1966 ، ص 128.

∅

∅

∅

∅

∅

∅

1.0000

∅ 22

∅

ff! % ∅

∅

∅

∅

∅

∅

∅

∅

.. .

Ù

:

...

...

..... .

1.....

22

Ù

3

"fl! %&

'00'

... ù

... fl 7

1.

ù .

ù

ù

ù

ä

ù

ù

..

..

...

"%*\$' -1

·Ù · -2

"% , *'

"fl ' Ł' -3

-4

"% - , '% '

-5

. 1960

-6

"% - & '% '

"fl " Ł' & ' -7

-8

"fl " Ł* '

'fl " Ł' & ' -9

"% - (' -10

·Ù -11

"% , *'

% -12

"% , - ù

· · · · ·	· Ù · fl · Ł ·	-13
	· "·%· -) · · · · %	
	· "·fl " Ł · · · · % · · · ·	-14
· · · · ·	· · · · ·	-15
	· "·%· - %·% · · · · ·	
· fl · · · · ·	· · · · · Ł · · · · ·	-16
	· "· &\$\$\$ · (· · · · ·	
· fl " Ł' · · · · ·	· + · · · · ·	-17
· · · · ·	· Ù · · · · ·	-18
· · · · ·	· fl · · · · · Ł · fl · · · · · Ł	
	· "·%· , + ·	
· fl · · · · ·	· Ł · · · · · Ù · · · · ·	-19
	· "·&\$\$+ · · · · ·	
· · · · ·	· · · · · Ù · · · · ·	-20
	· "·%· - , (·	
· · · · ·	· · · · · Ù · · · · ·	-21
	· "·fl " Ł · · · · ·	
"·%· - % · % ·	· Ù · · · · ·	-22
· Ù · · · · ·	· fl · · · · · Ł · · · · ·	-23
	· "·%· - % · · · · ·	
· · · · ·	· · · · ·	-24
	· "·&\$\$' · · · · ·	

· · · · · £ · · · · · -25

· · · · · "&\$\$% % · · · · ·

· · · · · fl · · · · · £ · · · · · -26

· · · · · "&\$\$' · · · · ·

· · · · · fl · · · · · £ · · · · · -27

· · · · · "% , , % · · · · · Ù

· · · · · "% *% · · · · · -28

· · · · · · · · · · · -29

· · · · · "fl " £ · · · · ·

· · · · · · · · · · · -30

· · · · · "fl " £ · · · · ·

· · · · · · · · · · · -31

· · · · · "fl " £ · · · · ·

· · · · · fl · · · · · £ · · · · · -32

· · · · · "% , · · · · ·

· · · · · · · · · · · -33

· · · · · "% ,) % · · · · ·

· · · · · % · · · · · · · · · · · -34

· 2008

· · · · · · · · · · · -35

· · · · · "&\$\$) · · · · ·

· · · · · fl · · · · · £ · · · · · -36

· · · · · "% - \$ % · · · · ·

..... -37

.....

..... -38

"&\$\$\$,%

.....

..... ù

.....

..... ù

..... ù

.....

.....

.....

..... ù

.....

.....

..... ù

..... ù

.....

..... ù

..... ù

..... ù

.....

.....

..... ù

..... ù

.....

..... ù

.....

